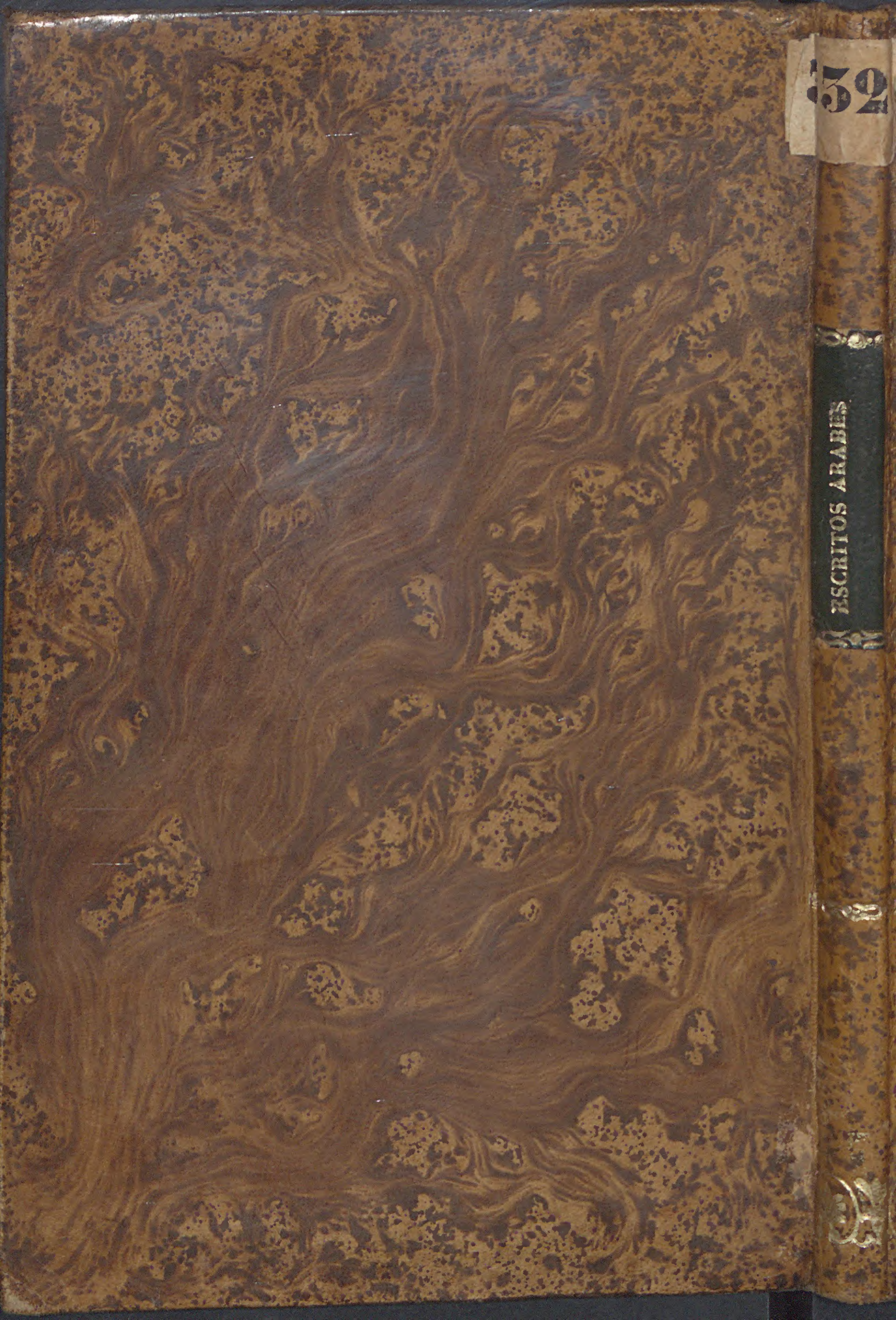
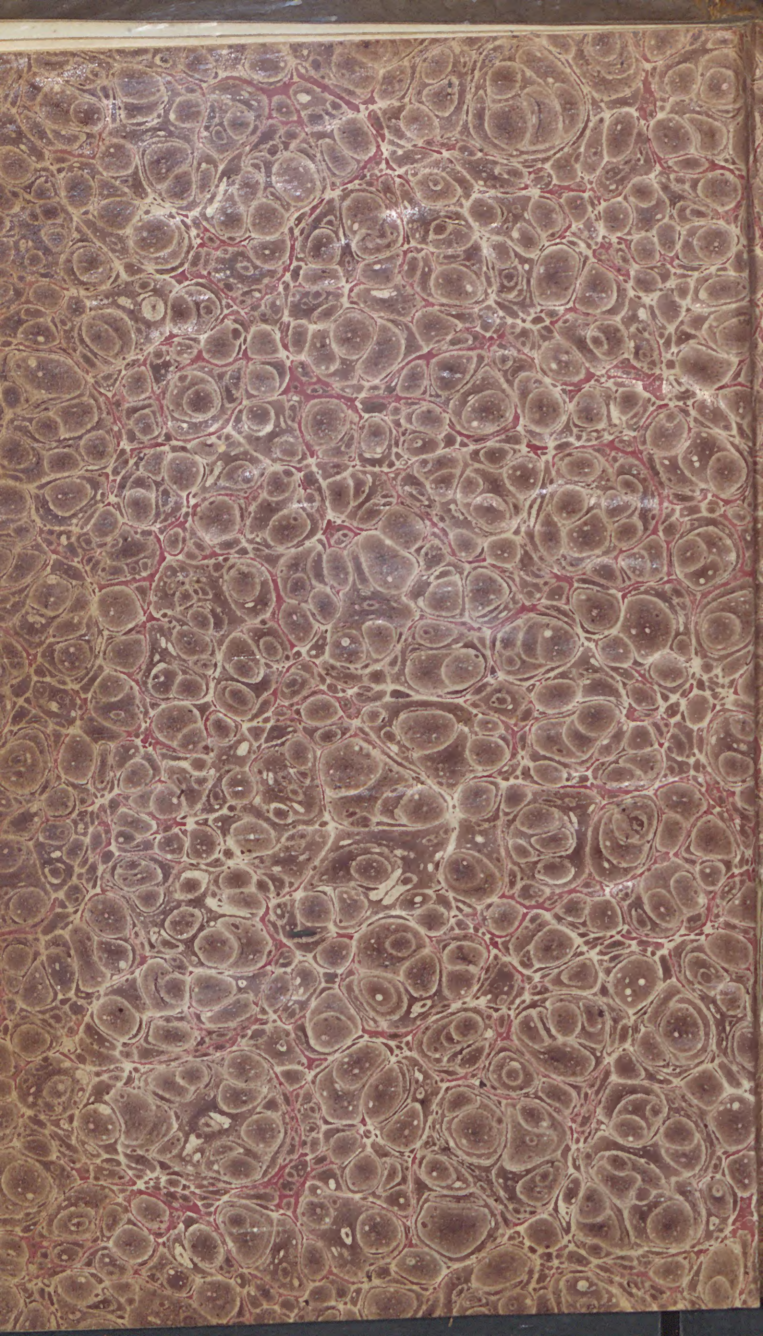
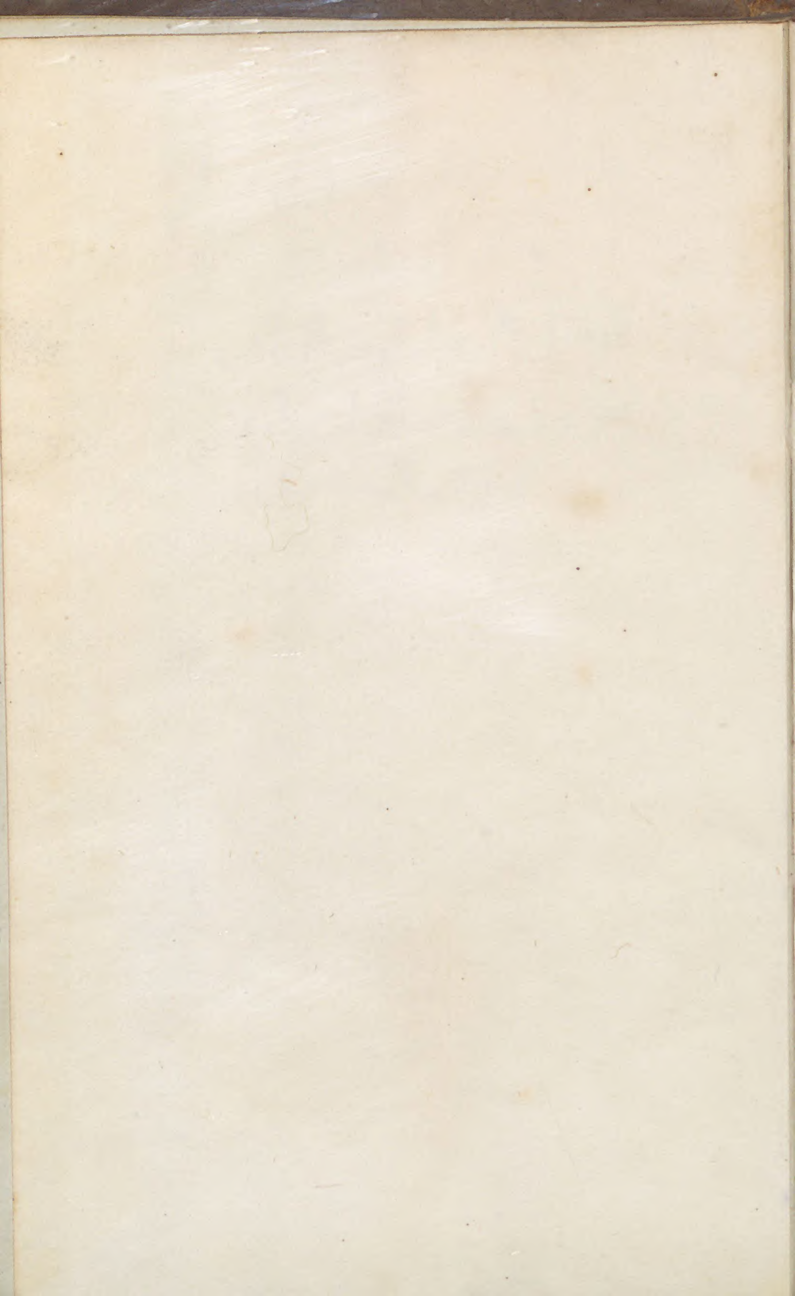

32
ESCRITOS ARABES

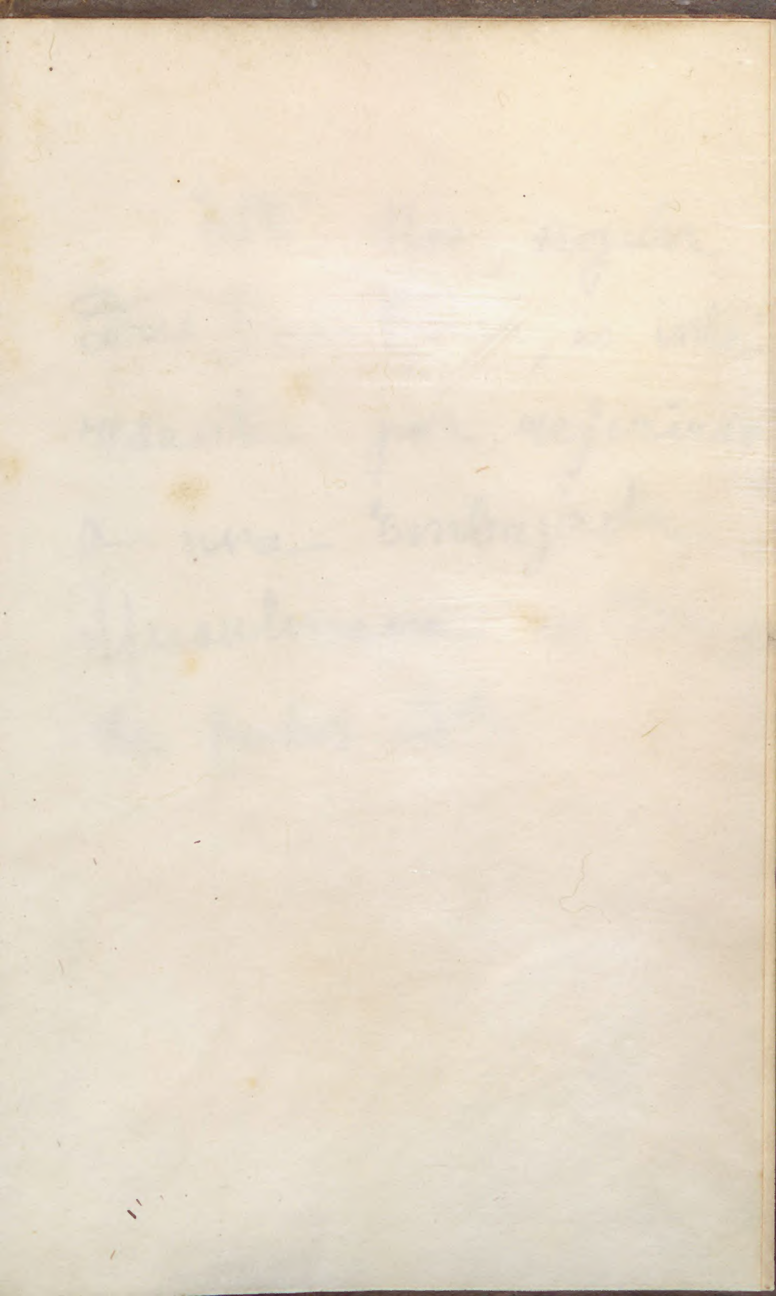






Este Mss, según Dris Ben Kirán, es interesante por referirse a una embajada Musulmana en tiempo de Carlos 2º.





[illegible] رسائل [illegible]

[illegible]

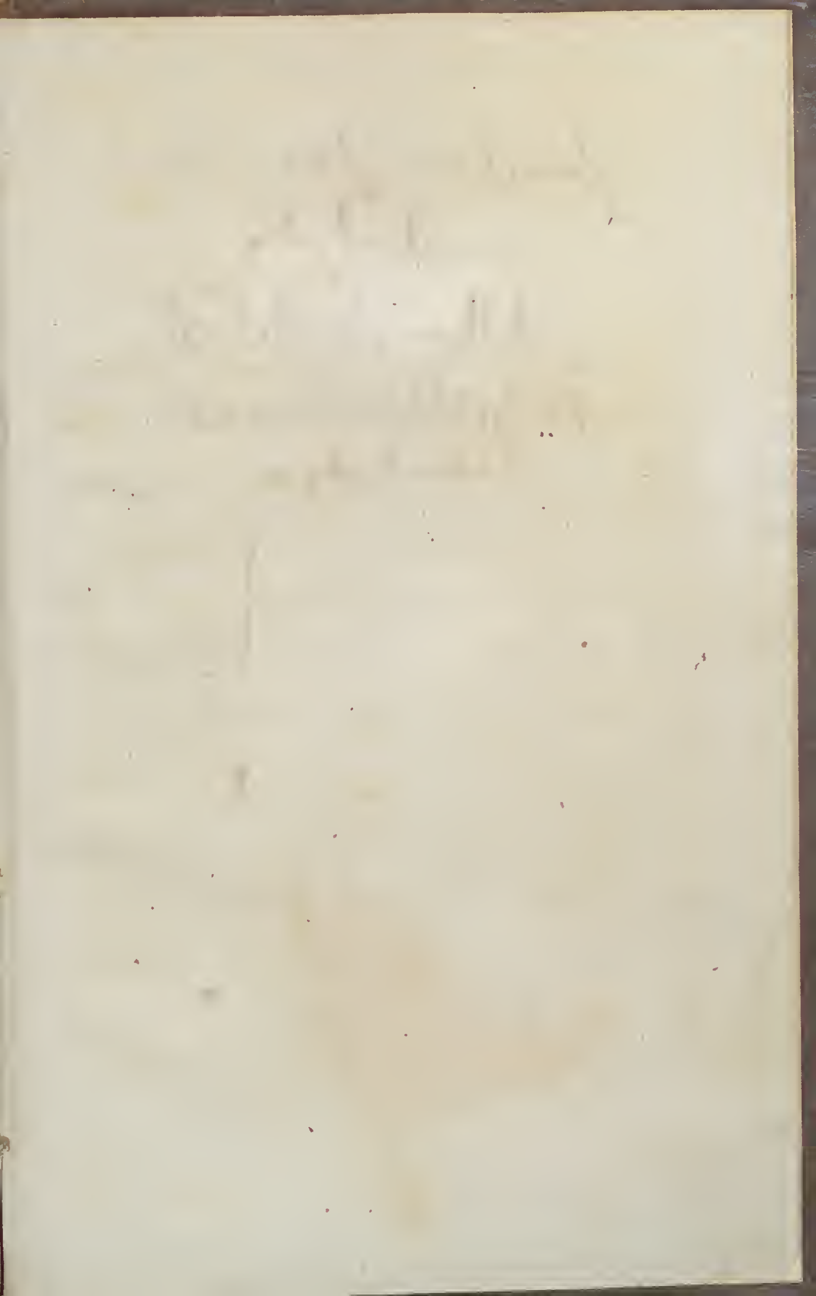
[illegible] الثاني

عن [illegible] سلطان [illegible]

مولاي اسماعيل



ذكر سفار رسول مسلم
في اصبانيه
ارسل الى كارلوس الثانى
من جهة سلطان مراكش
مولاى اسماعيل



بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر عن مرسى جبل
طارق

فهو الجبل المسمى بجبل الفتح ايضا اذا
كان منه مبدا فتح العدوة الاندلسية
لما ان عبر طارق رحمه الله اليها كان
بعد ان وجه موسى بن نصير رحمه الله
الى العدوة سرايا بامر امير المومنين
الوليد بن عبد الملك وذلك حيث كان
موسى عاملا للوليد على افريقيه وطارق
عاملا لموسى على طنجه وكانت وقعت بين
يليان والى ما يلي البحر من العدوة وبين
موسى مداخلة ومراسلة يدعوه فيها
الى العبور والدخول الى الجزيرة الخضراء
فكتب موسى للوليد يخبره بذلك فقال
له اختبرها بالسرايا واختبرها ابعث

طريف وغزا واصاب مالا وسبيا ورجع الى
البلاد البربرية لما كان فيها من القتال
مع كبار البربر فلما دخلوا في السلام
بعد غزو شنيع وسبي فيهم ذريع تدرج
الغزو الى كبار الاندلس وحين رجعت
هذه السرية سالمة غانمة عمل موسى
على اجازة سرية اخرى في العام الذي بعده
قال ولما دعا يليان موسى الى الاندلس
ذكروا ان موسى نهض الى امير المومنين
الوليد بن عبد الملك فاعلمه بذلك
فمنعه وقال له لا تغرر بالمسلمين فقال
له يا امير المومنين انما ارسل عبدي
طارق مع البربر فان اصابوا فلنا وان
اصيبوا فليس علينا منهم شي فامره
بالنهوض الى ذلك فبعد ذلك قدم يليان
بابنته من قصر لذريق الى سبتة وموسى
بافريقية فقدم عليه ووصف له
حال الاندلس وطيبها وقرب مرامها

وهو

وهوّن عليه رجالها وقرب حالها
فقال له موسى اصرفك في نصيحتك الا انه
ليس في نفسي شيء بسبب الدين فاخذ
يليان معه الرجال الداخلين مع طريف
واغار بهم على البلد وانصرفوا غانمين
سالمين فاطمان موسى ونظر في ارسال
طارق ومعه البربر؛ وعبور طارق اليها
من ناحية سبتة ونزل بالقرب من هذا
الجبل في جزيرة صغيرة تقابل المدينة
التي في سبتة وهي جزيرة صغيرة بقدر
ميل واحد طولا وعرضا يحدها واد كبير
ينحدر من جبال الرندة واحوازها وهي
جبال كثيرة شاهقة تقابل البلاد البربرية
جبال الفحص والهبط وغيرها وباسم هذه
الجزيرة الصغيرة تسمى هذه العدوة
جزيرة والا فبلاد العدوة ليست بجزيرة
لاتصال برها وامتداده الى البلاد التركية
وغيرها من بلاد الكبيرة مثل فلانضس

وبلاد ايطاليه وللامانيه وليس بهذه الجزيرة
المذكورة اليوم عمارة ولا بناء ومرسى جبل
طارق هي مرسى كبيرة واسعة الجوز وعلى
بابها حصن منيع مبني احسن بناء وبه
من العدة والمدافع ما شحنته اذ هو
موضع مبيت العسكر واهل الحرس وهو
مطل المرسى جميعها وقد امتد سور
مع سفح الجبل مار من الحصن الى
المدينة بقدر ميل على شفير البحر
الى ان ينتهي الى المدينة والمدينة
تصل المراكب اليها وهي مدينة
متوسطة الى الصغر اقرب واكثر
عمارها الشلطاط ومرج معناهم
وليس بها كبير تجار ولا عمار مثل
العواصر التي تقصد للسكنى حيث
كانت طرفا وفي مقابلة بر الاسلام
ومنها تمتد سبتة بافوات سكانها
وعمارها القرب المسافة اذ لا اقرب

منها

منها في جميع بلاد العدوة وقدر ما بينهما
في البحر خمسة عشر ميلا واكثر درس هذه
العدوة وانتباههم هو الى ما قابل جبل الفتح
هذا من بلاد البربرية اذ ليس لهم تشوف واحتراز
الا منها لما هم يتدارسونه في تواريخهم وتقرر
لديهم انه قط لم يعبر احد الى العدوة في البحر
الا من ناحية البربرية ولم تفتح العدوة اولا
ولا عبر اليها بعد ذلك في ازمنة من عبر اليها
من ملوك مغربنا رحمهم الله الا من مقابلة
طريف وسبب تسمية هذه المدينة بطريف
هو انه لما كان موسى بن نصير رحمه الله
عاملا على افريقيه للوليد بن عبد الملك وطارق
كان عاملا لموسى على طنجة وحين دخل يليان
العلج من الجزيرة الخضراء كتب موسى بذلك
الى الوليد فكتب اليه الوليد ان اختبرها
بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بلد شديد
الاهوال فكتب اليه موسى يقول له انه
ليس بهذه البلاد خليج فكتب اليه الوليد

ان اختبرها بالسرايا وان كان الامر كما ذكرت
فجهز موسى رجلا من البربر من مواليه يسمى
طريفا ويكنى ابا زرعة في ماية فارس
واربعماية راجل فجاز اربعة مراكب حتى نزل
في ساحل البحر بالاندلس في الموضع المعروف
اليوم بجزيرة طريف سميت بذلك لنزوله
هنالك فاغار منها على ما يليها الى جهة
الخضرا واصاب سبيا ومالا كثيرا ورجع
سالما والذي يقابل جبل الفتح من بلادنا هو
جبل بليونش ويعرف بجبل موسى وسمى
هذا الجبل بجبل بليونش باسم مدينة كانت
به قديما وقد بقي بها اثر الجدران والحيطان
واشجارها باقية الى الان تدل على مكانتها
وهي في غرب سبتة ومقدار ما بينهما نحو
ميلين وفي غرب بليونش عيون ميا عذبة
تعرف قديما بعين الحيات زعموا انها
عين الحيات التي شرب منها الخضر عليه
السلام وبازاء تلك العيون صخرة يزعم

بعض

بعض اهل التواريخ ان عند تلك الصخرة نسي فتى
موسى الحوت والذي يقابل طريف هو القصر
الصغير الذي في حدود بلاد انجرة وهو اقرب
من غيره في جميع البوغاز لكون مقدار ما
بينهما ثمانية اميال ومع هذا فالعمران من
هذه النواحي العدوة ليس هو على قدر ما تتوقع
الكفرة ونحوهم اذ ما بين مدينة جبل الفتح
ومدينة طريف هو خلاء لا عمارة به وفيما
بينهما بلاد وسيعة متسعة الارجا وكان
وصولنا الى هذه المرسى عشية الاربعا وهو
يوم ركوبنا البحر من قصبة افراك المطلة
على سبتة فوجدنا بالمرسى مركبا مهيا
مشحونا بالاقامة والشلطاط وما يستحقه
من الالات كان وجه به الدوك القاطن بمدينة
سان لوكار بامر عظيمه والذي ينتهي اليه
امر تلك الكونشطة كلها وهو من اعيان
اكابرهم اذ لا يتولى عندهم امر الكونشطة
المواليه لبرنا الا من له اصالة في الكبيرة

ومن له لقب الدوك او الكندي لا غير
وكان هذا المركب الكبير لما ان وجه
به الدوك المذكور على يد حاك فالوارسى
به على سبتة اعادها الله دار اسلام فلما ان
تحرك الريح الشرقي الذي لا يمكنهم معه
يقاوم في قرب سبتة ولا يجوزها رجعوا
به الى مرسى جبل الفتح اقاموا هنا الى ينتظرون
الهواء الذي يمكنهم فيه الرجوع الى مرسى
سبتة والمعلم هنالك الان يحملونا وحين
حللنا نحن بفحص سبتة وخرج اهل سبتة لملاقاتنا
وخرج معهم ولد القبطان واعلمونا بانتظارهم
لورود المركب الذي في جبل الفتح فقلنا
لهم اما ان توجهوا اليه واما ان نعبر نحن
البوغاز في مراكب صغار لسرعتها في العبور
وخفتها وشدة جريها فاعدوا لنا ثلاثة
مراكب صغار هيؤوها وشحنوها بالشلطات
والمدافع التي تحميها وركبناها وسرنا
في حفظ الله وكلائته نصف يوم الى ان حللنا

المرسى

المرسى المذكورة وانتقلنا من المراكب الصغار
الى المركب المعد لنا هنالك وتقدمنا الى
قرب مدينة جبل الفتح وبتنا بالمركب ولما
انتصف الليل هاج البحر علينا واشتد هيجانه
وتلاطمت امواجه والمركب يتقلب يمينا
وشمالا ويتمرغ كما تتمرغ الدوابة حتى
دخلنا الفزع والرجف الى ان طلع الفجر فاذنا
رئيس السفينة ان يرجع بنا الى باب المرسى من
حيث دخلنا اذ هو موضع مشكن عن الرياح
البحرية كانه بركة ماء فارسينا تحت الحصن
في ظل جبل الفتح واقمنا هنالك ثمانية ايام
ننتظر هبوب الهواء الشرقي الذي يمكننا
فيه السفر الى فالمو حيث كان قصدنا وفيه
استعد النصارى للملاقاة وجمعوا جموعهم
وفي مدة مقامنا بالمرسى المذكورة كان
قايد البلد يختلف الينا ويتعاهدنا كل يوم
بالفواكه الرطبة واليابسة ويعتذر عن تقصيره
الى ان استنشق بعض اصحابنا هبوب الريح

الشرفي نصف ليلة الاربعا الثامنة من
حلولنا المرسى المذكورة وكان صاحبنا
المذكور عارفا باحوال البحر لتعدد سفاراته
ورئيس سفار المركب اذ ذاك مستغرق في نومه
فنبهنا واعلمنا بهبوب الهوا فارتحلنا
من ساعتنا وخرجنا من موضعنا ذلك فحين
طلع الفجر قابلنا مدينة طريف وهي مدينة
متوسطة على شفير البحر في بسيط من الارض
وقد سميت باسم نازلها كما تقدم ويقابلها
من بلاد نا القصر الصغير المتقدم الذكر
ولم نزل نصف ذلك اليوم سايرين الى وقت
حلول صلاة الظهر فراينا اذ ذاك مدينة
قالص وهي مدينة كبيرة في جزيرة على البحر
ولها طرف ممتد الى البر والبحر يدور بها
من نحو سبعة اثمانها ولها مرسى كبيرة
لا تقدر لسعتها وبها من المراكب الكبار
والصغار ما لا يحصى كثرة وحيث كانت
مدينة كبيرة يقصدها المسافرون والتجار

من كل

كل اوب يتنالون عليها من كل ريح وترد
عليها النصارى من كل جزيرة او مدينة
تجاورها او تضرب اليها بقصد البيع
والشرا والنفقة والخدمة يجتمع بها من
المراكب الصغار التي تجلب اليها المدد
والاقوات من الطعام والفواكه وغير ذلك
العدد الذى لا يحصى . واما ان زجاكم
البلد ذلك اليوم هبوب الريح الذى يقدمنا
عليهم استعد والملاقاة استعدادا كثيرا
وتاهبوا تاهبا كبيرا وجمعوا الشلطاط
والخويلة التى عندهم وعمروا امدا فعهم
البحرية والبرية وخرجوا الى البحر ينتظرون
ورودنا بحيث قربنا من المدينة بمقدار
ميلين ورد علينا قبطان في مركب الحاكم
وقد زينه بانواع الفرش والحرير والديباج
وقد علق على المركب صنجقا من صناجق
الطاغية وصعد الى السفينة وادى السلام
كبيرا واعتذر على لسانه بتاهبه للملاقاة

للملاقاة فانحدرنا من المركب الكبير الى
الزورق وقصدنا المدينة فوجدنا حاكم
المدينة واقفا على طرف الموج وقد برز
معه جميع من بالمدينة رجالا ونسا
وصبيانا ولم يدع بالمدينة صاحب لحن
وطرب الا وقد احضره ولم يترك باسوار
المدينة ولا بالمراكب الكبار مدفعا الا
وقد اخرجه ولقينا الحاكم المذكور
احسن ملاقاة وفرح بنا اتم فرح ولقينا
بمدينة فالموس الاسارى رجالا ونساء
وصبيانا وهم يفرحون ويعلنون بالشهادة
ويصلون على النبي صلى الله عليه والسلام
ويدعون بالنصر لسيدنا المنصور بالله
تعلى فذكرنا ووعدناهم بالخير من ان
سيدنا ايده الله غير تاركهم ما دام فضل
الله تعلى عليه فكان عندهم ذلك اليوم
عيد الاستبشارهم بالفرج من الله تعلى
على يد المولى المنصور بالله سيما وقد

تقرر

تقرر لديهم ان سيدنا ايده الله لم يكن له
قصد ولا نية في جمعه الساير النصارى
الذين في ربقة الاسر الا بقصد فكاك
المسلمين من بين العدو والكافر فحمدوا
الله فاستبشروا بالبال المصروف اليهم
من الملك ابقاه الله تعلى وادام وجوده
لنا فدخل بنا الحاكم المذكور المدينة
وقصد بنا دارا كبيرة اعدها لنزولنا وقد
احضر انواع الاقامة على اختلافها ولم يزل
يتعاهدنا هو ومن معه من اعيان البلد
ذلك اليوم والليل كله الى الغد ثم بدا
يستفهمنا عن غرضنا في السفار وهل لنا
ارب في المقام عنده للاستراحة بعض
الايام فقلنا له لا يمكننا المقام بموضع
من المواضع ما لم نصل البلاد التي نحن
قاصدون اليها والطاغية الذي توجهنا
اليه فقال ان ذلك هو مراد سيده وعظيمه
وهو مستبشر بقدومكم ومنتظر وصولكم

اليه عاجلا فاتفقنا على الرحيل من الغد واتانا
بكر شبين وخرج بنا الى المدينة واراناها اياها
حومة حومة فاذا هي مدينة كبيرة عامرة
واسواقها مشحونة بالتجار واهل الحرف
والبيع والشرا واذا بالمدينة لا سور لها
الا من جهة المرسى ومن الجهة الاخرى
سورها البحر لقصره ولعدم دخول
المراكب اليه لما فيه من الحجر وقصر
البحر ومن الغد اصبح الحاكم المذكور
ومن معه في تهيية رحيلنا وقد برز
ايضا على العادة جميع من بالمدينة
من السلطات والخيولة وساير الناس
لتشييعنا بعد ان قدم الحاكم الى المدينة
شنتمرية بعض اصحابه مخبرا بورودنا
عليها ليعدوا محل النزول وفي صبيحة
اليوم الذي خرجنا من قالص بينما نحن
في تهيات الرحيل اذا دخل علينا قسيس
من قسوسهم نصارى الترك رومي في بلاد

قسطنطينية

قسطنطينة العظمى واخبرنا بالفتح الذي
منّ الله به على جيش المسلمين وانّ السلطان
سليمان امره الله بمعونته استخلص مدينة
ابن الاغراض وعمالتها وما حولها وهو معتن
بما هدّ من حيطانها ومشتغل باصلاح ما
خرب من اسوارها وقد جعل من العملة
لاصلاحها وخدمة البنيان اثنى عشر الفا
واستبشرنا اذ ذاك بما خول الله من نصر
المسلمين وكان النصارى يرون له بفتحه
تلك المدينة واسترجاعها قوة وابدا
ويذكرونه احسن الذكر وخرجنا الى
البحر فوجدنا المركب الذي انحدرنا
من السفينة اليه على حالته الاولى فركبناه
في حفظ الله تعالى وقصدنا مدينة شنتمرية
في البحر ومقدار ما بينهما ستة اميال بما
كان لا اكثر اسرع من مرور ساعة زمانية
وقد اشرفنا على بر المدينة المذكورة فوجدنا
بها سربة من الخيل تنيف على المائة وقد

برزت لملاقاتنا واظهروا من الفرح والسرور ما اظهروا وحين ارسينا على مدينة شنتمرية وجدنا بساحل بحرها خلقا كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وقد برز حاكمها وقاضيها للملاقاة ومعهما كدشان لركوبنا فحين التقينا بهما عملا من الصواب وحسن الملاقاة ما لا ينكر لهما فدخلنا المدينة وطافوا بنا جميع ازقتها وديارها واسواقها واذا هي مدينة كبيرة واسعة رحبة البناء فسيحة الارجاء وازقتها كلها مفروشة بالحجارة وهي من حواضر مدن العدوة ومن المقصودين في السبب والتجارة ومع هذا فلا سور حاجز بين المدينة وبين البحر وكذلك ما يلي البر منها وبطرفها من جهة البحر دار كبيرة وقد سدوا بابها الذي يدخل اليها وهي الدار التي كان نزلها السلطان الشيخ ابن السلطان احمد الذهبي الداخل الى اصبانية فلا يعمرها

احد

احد ولا يسكنها اذ عوايد النصارى ان يحترموا
الدار التي نزلها ملك من الملوك ويبنوا
بابها فلا يسكنها احد وبناء بابها علامة
ذلك عليها كما فعلوا بمادريد في دار هي
اليوم غير معمورة من عهد كرلوس كينطوا
اذ كان حارب ملك الفرنسيس وغلب عليه
واسره واتى به الى تخت ملكه ودار سلطنته
مادريد وانزله بالدار المذكورة فبقي تحت
يده مدة زمانا الى ان سرحه ومن عليه فتركوا
الدار التي كان بها على حالها وغلقوا
بابها بالبناء فهي معروفة مشهورة
ولما ان حللنا دار النزول بمدينة شنتمرية
ورد اهلها واعيانها السلام والترحيب
وفيهم من البشاشات وحسن الملاقاة
والبشر ما ليس في غيرهم ولم يزل الحاكم
والقاضي يختلفان الينا ويترددان الى ان
مد الليل رواقه وارخى في عنق الجوزاء اطواقه
ومن الغد حين اصبحنا ورد علينا بعض

اعيان الدولة المتولي امر هذه الكونشطة الفاطن
بمدينة سان لوكار معتذرا عن حال منشيعه
بمرض منعه عن الخروج فقبلنا اعتذاره و
خرجنا من المدينة بعد ان برز اليهنا اهلها
للتشييع وخرج الحاكم والقاضي المذكوران
وقبطان الخيل مع سريته وساروا معنا
مسافة ثلاثة اميال الراس وصلنا حدا
معلوما عندهم فاصلا بين عمالتهم وعمالة
مدينة شريش فترجل الاعيان وجميع من
برز معنا وشيعونا بعد ان اعتذروا عن
التقصير وفي الواقع هذا الحد هو الفاصل
بيننا وبين حاكم البلد الاخرى التي تقابلنا
ولو امكنتنا الزيادة لسرنا معك اليوم
كله اجلالا واعظاما لمرسلكم ولتبرد
عين الف عين تكرم بتشيعناهم ورجعوا
عنا وسرنا مسافة فوصلنا مدينة
شريش وفيما بين المدينة بلاد متسعة
ذات اشجار وانهار وبها من الزياتين
والبساتين

والبساتين والكروم وانواع الغراسة
ما لا يحصى ومدينة شريش مدينة كبيرة
واسعة واثرها اثر الحضارة القديمة وقد
بقى من اسوارها اثر واكثره درس وخرب
لان النصارى لم يكن لهم اعتنا بقنا السور
ولا بتحصين المدن الا في البعض مما قارب
البحر كقالص من جهة المرسى ومدينة
جبل الفتح فانها حصينة ولها سور غير
متناقض لبنايه على الموج ومدينة شريش
هذه تلقب بشريش الفرنطيرة ومعناه
المقابلة ويعنون بها المقابلة لبسر
الاسلام اعزه الله وجل اهلها من اهل
الاندلس واعيانهم الذين تنصروا وهم اهل
حراثة وفلاحة فعبرناها ضحوة ولم نزل
سايرين ذلك اليوم الى ان بلغنا عشية
مدينة يقال لها البريجة وهي مدينة
صغيرة الى البداوة اميل واثر سورها ايضا
خرب ودثر فلقينا حاكمها وقاضيها

وانزلونا دار البعض اكابرهم وجعلوا يتثالون علينا للسلام وفيها انتسب لنا البعض الى الاندلس باشارة خفية لم يقدر على التصريح الا بكلام خفي والغالب على جل سكانها انهم من بقايا الاندلس الا ان العهد طال عليهم وربوا بعبوحة الكفر وغلبت عليهم الشقاوة والعياذ بالله. ومن الغد رحلنا الى مدينة يقال لها اطريرة وفيما بينهما بلاد متسعة وارض فسيحة معمورة بعزايب الحرث والمواشي واكثر غنم الاندلس سرح وعن يسار المار البريحه الى اطريرة بمقدار ميلين او ثلاث الوادي الكبير المنحدر من اشبيلية الذي تجتمع فيه سائر اودية الاندلسية وتسافر فيه المراكب من البحر الكبير الى ان تصل على اشبيلية على مسافة اربعين ميلا من البحر المذكور ومدينة اطريرة هذه هي مدينة متوسطة بين الصغر والكبر

رجل

وجل اهلها من بقايا الاندلس موصلنا ها عاشية
اليوم فوجدنا جميع اهلها وقد برزوا
للاستسقاء وهم على عدد نسماتهم قد رفع
كل واحد منهم صليبا على كتفه فلقونا
على تلك الحالة حيث لم يمكنهم التخلف
فنزلنا بالمدينة دار كبيرة مشرفة على
جل المدينة وبعد ان طرحوا صلبانهم
ردوا ايضا السلام علينا وهم في البشاشة
والفرح بمكان واهلها ذوات العظام والغالب
عليهم الحسن رجالا ونساء ولقد شاهدت
اثنتين احداهما بنت حاكم البلد والاخرى
بنت القاضي في غاية من الحسن والجمال
والكمال لم ترعيني في جميع ما رات من
بلاد اصبانية على سعتها اجمل منهما
وهما من بنات الاندلس ومن ذي ملك
غارناطة الاخير الذي غلب عليها وهو
الملك المعروف عندهم الرى الشيكو
ومعناه السلطان الصغير ولقد اخبرني

بمدينة مادريد رجل يسمى دون الونس
حبيب موس اخى السلطان حسن المتغلب عليه
بغرناطة ان البنتين التى باطريرة من دمه و
دون الونس هذا هو رجل حسن الاخلاق حسن
الشباب له قوة وشجاعة معروفة عند النصارى
وهو معدود من فرسانهم وشجعانهم ويتقدم
الى المجال والشرور فيطانا على جماعة من
الخيل والنصارى يعتدون شجاعته ومع هذا
فهو مايل الى من يلقاه من اهل الاسلام ويذكر
نسبته ويعجبه ما يسمعه من الحديث
عن الاسلام واهله ولقد حدثنا عن امه
انها حين حملت به اشتهت اكل
الكسكسو فقال لها ابوها لعل هذا
الحمل الذى في بطنك من ضنو المسلمين
يداعبها بذلك اذ كانوا لا ينفرون من
نسبتهم لعلمهم بها وانهم من بيت الملك
نعوذ بالله من الخذلان والغواية ونسئله
الهداية ومن عظيم بشاعة اهل اطريرة

انهم

انهم وردوا علينا ليلة مبيتنا عندهم بالبرابلية
الذين يحسنون الغناء في كنايسهم وبيدهم
الات اللهو والطرب منها الة يسمونها
اللارية ذات اوتار عدة وهي خشبة الشكل
يزعمون انها الة النبي داوود عليه وعلى
نبينا الصلاة والسلام وعلى شكلها رايت بين
صورة من الصور التي يجعلونها في بيوتهم
وديارهم ويزعمون انها صورة النبي داوود
عليه السلام اذ جميع تواريخهم ودياناتهم
هو ماخوذة من ديانات بني اسرايل وعن
التوراة في زعمهم الا ما زادوه من الفرق الحاصل
بينهم وبين اليهود حين نالبوا على المسيح
وصارت العداوة بينهم بسبب ذلك ولم يزالوا
من ذلك العهد يحدثون في ديانتهم واعتقاداتهم
الفاسدة وضلالهم ما يحدثه لهم الباپ الذي
برومة لعنه الله باكا بر قومه ومن مدينة
الطريرة هذه الى مدينة مرشينة عشرون
ميلا وفيما بينهما ارض واسعة فسيحة

منسعة الارجاء سهلة وليس بهذه البلاد الاندلسية
جبال الا ما هو على يمين المار تظهر على مراى العين
كجبال الرندة وما والاها وفيما بين اطريرة و
مرشينة واد كبير عليه قنطرة كبيرة مبنية
احسن بناء من عهد المسلمين وبهذا الوادى
كانت وقعة الزلاقة الشهيرة الذكر وعلى
هذا الوادى كنيسة صغيرة بها صورة حرب
الزلاقة منقوشة بحيطانها ومدينة
مرشينة هى مدينة متوسطة ايضا اثرها
اثر الحضارة القديمة وهى البعد الى البداوة
اميل واهلها اهل بشاشة ومنهم من
ينتسب الى الاندلس انتسابا ومنها الى مدينة
ايسكا احد عشرون ميلا وفيما بينهما
بلاد متسعة الارجا فسيحة ذات اجنة و
بساتين واكثر اشجارها شجر الزيتون ومحل
مدينة مرشينة من ناحية ايسكا ثمانية
اميال كلها معمورة بالزياتين وفي كل غابة
من زياتينها دار لخزن الزيتون ولعمران يفوق

بامرها

بامرها وكذلك فيما يلي ايسكا من طريق
مرشينة ايضا من الزياتين مسيرة ثمانية اميال
اخرى يمينا وشمالا وخلف واماما اذ الاندلسية
هي اكثر عمارة العدوة شجرا وزيتونا وعلى
قرب مدينة ايسكة اعلى ربوة من الارض مطلة
على المدينة اثرينا فيه مصلى زعموا انها
روضة صالح من صلحاء المسلمين راوا له
بركة عظيمة فتركوا روضته على ماهي
عليه ولما اشرفنا على مدينة ايسكا راينا
بها حسن المنظر وبها بها ما ليس في غيرها
من ساير مدن العدوة وهي في غور من
الارض على شفير الوادي المسمى بوادي شنيل
وما زال يسمى عند النصارى باسمه الاول
المعهود وهو واد كبير ينحدر من وادي
اشر ومن وادي شنيل من احواز غرناطة
وجبالها وعلى هذا الوادي من المنتزهات
والاجنات والبساتين والارحية وانواع
الغراسة ما لا يحصى وليس في ساير ما راينا

بالعروة الاندلسية متنزها ابهى منه منظرا
والمدينة على تشبير هذا الوادي المذكور مع
ماذا ربها من البساتين والمنازل الديار
التي بالبساتين كانها ملك دارت كواكبه
ولقد اذكرني ما شاهدته من حسن هذا
الوادي وبديع منظره وبهايه حمدة
الاندلسية الشاعرة التي من وادي اش
:ابا الدمع اسراري بوادي له للحسن اثر
بوادي :.
:ومن نهر يطوف بكل روض ومن روض
يطوف بكل وادي :.
:ومن بين الظباء مهات رمل سبت لبي وقد
سلبته فوادي :.
لها لحظ ترقده لامر وذاك الامر يمنعني
رقادي :.
:اذا سدلت ذوايبها عليها رايت البدر
في جنح السواد :.
وحمدة هذه هي من شاعرات الاندلس
واخبارها

واخبارها مشهورة في محلها من اخبار شعراء العدوة وشاعراتها وهي القايلة :

ولما ابى فرافنا الا افتنا النا وما لهم عنى وعندك من ثار :

وشنوا على اسماعنا كل غارة وقل حماتي عند ذاك وانصاري :

غزوتهم من مقلتي بادمع ومن نفسي بالسيف والقتل والنار :

ولقد انشرت حين ابصرت حسن هذه المدينة وجميل منظرها متمثلا ببيتي الجريري وضمنتها بيتين اخرين :

البيت اذ نظرت عيني محاسنها ان لا نظير لها في مصلى الصور :

كانها فلك دارت كواكبه وانشرفت بين بدو الارض والحضر :

فالله ينقذها حتى يداب بجاد بين المهيمن معرق سامى الغير :

بكف محتسب للاجر منتدب له منتسب لافضل البشر

وحين قربنا من المدينة برز حاكمها
في كرشنة ومعه اولاده ومن معه من
اصحابه راكبين خويلة له زعم انها من
احسن خيل الاندلسية واجودها فلقينا
خارج المدينة ورحّب بنا ولم يدع من البشر
وحسن الملاقاة شيئا وسار بنا الى المدينة
وطاف بنا اسواقها ورحابها وازقتها
فاذا هي مدينة متحضرة بين الصغر والكبر
وهي في غاية النظافة ولاهلها حسن اخلاق
وجمال وبوسطها المسجد الجامع الذي
بها وهو متوسط عجيب الشكل متقرر
البناء وبصحنه اشجار النارنج وهو من
عهد المسلمين وقد بقي على حاله فوصل
بنا حاكم المدينة الى داره وهي دار كبيرة
واسعة فانزلنا بها احسن نزول ولم يقصر
في الاكرام ولا فيما وجب عليه من الصواب
وحسن الخطاب فبتنا بداره تلك الليلة
ومن الغد خرجنا من المدينة واذا على

طرقها قنطرة عجيبة وعليها باب هذه
المدينة وتحت هذه القنطرة من الارحية
والبناآت شي كثير ومن هذه المدينة
وصلنا الى مدينة قرطبة ومدينة قرطبة
هي مدينة كبيرة حاضرة من حواضر العدوة
وهي دار ملك قديم فيها كان سكنى ولاة
الاندلس قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية
في سنة ثمان وستين ومائة انتقل عبد
الرحمن من الرصافة اذ كان سكناه بها
الى قرطبة وجعلها مقر ملكه وسرير
سلطنته وخلافته اذ بها كان سكنى ملوك
بني امية من عهد عبد الرحمن الداخل و
غيره ممن كان قبله ومن ولي من بعده من
خلفه والمدينة في سفح جبل يسمى سير
مرينة وهي على ضفة الوادي المسمى بالوادي
الكبير الذي ينحدر من جبال بياسة وجبال
جيان وغيرها والنصارى يسمونه باسمه
المعهود في عهد المسلمين وهذا الوادي

هو اكبر اودية الاندلس كلها وبه يجتمع
سايرها وهو الذى يمر باشبيلية وينحدر
الى البحر عند مدينة سان لوكار ونخارج
مدينة قرطبة من البساتين والجنات
وانواع الكروم ما لا يحصى وحين قربنا
من المدينة برز اهلها للملاقاة وبرز
من بعضها من الاسارى وهم يعلنون بلفظ
الشهادة ويدعون بالنصر لسيدنا المنصور
بالله تعلى وصبيان النصارى يقولون مثل
قول الاساري ولما ان دخلنا المدينة
رايناها مدينة كبيرة عامرة مشحونة
بانواع الحرف والصنايع واكثر باعتها
نساء ونزلنا دار حاكمها ومن الغد
خرجنا منها بعد ان عبرنا مسجدها
الاعظم الشهير الذكر البعيد الصيت وهو
مسجد كبير جدا وهو في غاية الاتقان
وحسن البنا وبداخله الف وثلاثماية
وستون سارية كلها من الرخام الابيض

بشكل

بين كل سارينين قوس من فوقه قوس اخر
وله من الابواب الان اربعة عشر بابا وقد سد
كثر من الابواب غيرها ومحرابه الاسلامي باقي
على حاله لم يغير ولم يحدث فيه شي الا انهم
جعلوا عليه شباكة من نحاس وطرحوا
امامه صليبا فلم يدخل اليه احد الا في
ذلك الصليب ولم يزد بداخله ولا بحايطه
شي قليلا ولا كثيرا ولهذا المسجد صحن
كبير جدا مشتمل على خمسة ماية وسطه
ويدور بها في ساير الصحن من اشجار النارنج
ماية وسبعة عشر شجرة ويقابل موضع
المحراب من الصحن منار المسجد وهو
منار كبير مبني كله من الحجارة الا انه
ليس بغاية في الارتفاع كمنار طليطلة ومنار
اشبيلية وهو مبني على باب من ابواب المسجد
المقابلة لموضع العنزة وما زالت سقف
هذا المسجد وابوابه باقية على حالها لم
يحدث فيها شي الا ما تدعو الضرورة اليه من

اصلاح السقف الذي يتداعى الى السقوط و
شبه ذلك وقد احدث النصارى بوسط هذا
المسجد مقابلا للمحراب قبة كبيرة مربعة
مشبكة بشبابيك من نحاس اصفر جعلوا
داخل هذه القبة صليبا من صلبانهم وكتب
صلواتهم التي يحضرونها مع الموسيقى وشبهها
وابواب هذا المسجد باقية على حالها من
البناء الاول والنقش بالكتابة العربية
ويقابل هذا المسجد القصبة الكبيرة التي
كانت دار ملك قرطبة وساير سلطنة العرب
حين اجتماع كلمتها وقبل حلول ملوك
الطوايف بها نسال الله تعالى ان يعيدها
دار اسلام بجاه نبيه عليه السلام وما
زالت اسوار القصبة باقية على حالها من
حسن البناء وارتفاع سمكه في الجو على
قدر علو المسجد ومن عظيم اثر بنيان
هذا المسجد وعلو سمك جدرانه في الجو
ان جعلوا له سواري من خارج الجدران مبنية

من الحجارة

من الحجارة خارجة من الحايط نفسه وبين كل
سارتين مقدار عشرة اذرع لتشرح حيطانه
وتر صحجد رانه ويدور بالمسجد كله بنيان
على قدر قامة الانسان بارزا مثل الشرروان
احتياطا للحايط المذكور وهذا المسجد هو
من احسن مساجد الاسلام وصيته يغنى
عن الاطناب في وصفه وهو بمقدار المسجد
الاقصا على ما قيل ولقد نقلت من كتاب نزهة
المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان
والمداين والافاق حيث ذكر المسجد الاقصا
ووصفه الى ان قال ليس في الارض كلها مسجد
على قدره الا المسجد الجامع الذى بقرطبة
من بلاد الاندلس وفيما يذكران مسقف
جامع قرطبة اكبر من مسقف الجامع
الاقصا وصحن المسجد الاقصا في تربيع طوله
مايتا باع وعرضه مائة وثمانين باعا وباحواز
مدينة قرطبة على نشير الوادى من اراضى
الحراثة والعزاييب لنتاج الخيل ما لا يحصى

ولا باخراجها اذ حرائتنع كلها في البلاد البعلية
الا ما نسمع من غرناطة واحوازها من تدفق
المياه وجريانها من كل موضع وعلى هذا
الوادي من القناطير المبنية احسن بناء
عدد كثير وعلى باب مدينة قرطبة قنطرة
كبيرة وتحتها اثر قنطرة اخرى زعموا
ان السفلى هي التي اسسها المسلمون
يخربها السيل فيما قرب الان من عشرة
اعوام يجدد النصارى فوقها بقليل قنطرة
اخرى لها من الاقواس سبعة عشر ومن
قرطبة الى مدينة تسمى الكاربي خمسة
عشر ميلا وهي مدينة صغيرة على نشز من
الارض قرب الوادي الكبير ايضا وبهذا
الوادي دوالب ونواعير تصعد الماء من
الوادي الى بساتين تحت المدينة واهلها
اهل فلاحة وحراثة وهم الى البداوة اميل
وعلى هذا الوادي من جانبيه من المدائن
والقرى ما لا عد له ⁘ ومن مدينة الكاربي

هذه المدينة تسمى انرو خراحد وعشرون
ميلا وهى مدينة قديمة اثرها اثر الحضارة
وهى على ضفة الوادى الكبير ايضا وعلى
هذا الوادى بقرب المدينة قنطرة كبيرة
من عهد المسلمين ويحوى هذه المدينة
من الزياتين والغروس والبساتين وارض
الحراثة ما لا يحصى واهلها اهل حراثة
وفلاحة والغالب على عمارها انهم من بقايا
الاندلس وجلهم من اولاد السراج الذين
كانوا تنصروا على عهد السلطان حسن
اخر ملوك غرناطة وذلك فيما يزعمونه
النصارى وينقلونه في تواريخهم ان بعض
اولاد ابن زكرى الغرناطيين بغرناطة كان
وشى الى الملك باحد اولاد السراج وذكر
عنه ان له كلاما مع زوجة ابن الملك
ومخالطة فحنق الملك على اولاد السراج
الذين معه بغرناطة فقتل منهم جماعة
اعيان وكان اولاد السراج لذلك العهد

هم اقوى

هم اهوى جيش المسلمين وبلاد هم انذ وخربهم
باقية بعد تغلب الكفرة على غرناطة واحوازها
يحاربون عليها ويذبون عنها يحبين بلغهم
خبر من قتل من اخوانهم بغرناطة حملتهم الحمية
والانفة والحنق والغيظ على ان ركبوا من
ساعتهم وقصدوا طاغية الوقت وتنصروا
على يده وخرجوا من عنده قاصدين غرناطة
فاغاروا عليها وحضروا بعد ذلك مع الطاغية
في حروب غرناطة واحوازها نعوذ بالله من
الضلال بعد الرشاد ومن الغواية بعد الهداية
وجل بقية هؤلاء المتنصرة الذين باند وخر
يعد من اكابر اهل البلد غير انه لا يعد عند
النصارى مثل ما لهم من الكبيرة التي
يتوارثها النصارى خلفا عن سلف مثل
الدوك والقند وشبههما واكثر ما يحصل
لهم اليوم من الكبيرة ان من يكون من
نسل هؤلاء القوم الذين تنصروا ان يرث
عمل الصليب على كتفه برقمه في ثوبه

المتبرك به وتلك هي علامة الاكابر منهم والخطط التي يتولونها بفاس هذا الجنس المذكور هي الكتابة وحكومة البلدان والشرطة وغير مما ليست له وجاهة كبيرة وولاية شنيعة مثل التصرف في العمال او الولاية للاقاليم الكبيرة او المدن القواعد مثل اشبيلية وما شاكلها وعلى كل حال فهم في هذه النواحي كثيرون لا يحصون فمنهم من ينتسب ومنهم من لا ينتسب ومنهم من ينفر من سماعة الانتساب ذلك والذي ينفر من هذه النسبة ويتابى عنها ينتسب الى جبال غمارة وهي جبال بعيدة من فشتالة كان انحاز اليها من بقي من النصارى ساعة تغلب العسكر المسلمين على العدوة ويتفاخرون بالانتساب الى تلك الجبال وما والاها والذين بيدهم ولاية او خطة من الخطط المخزنية من اهل هذا الجنس لا ينفرون من الانتساب.

ولقد

ولقد لقيت يوما بمدينة مادريد رجلا
انسيت اسمه الان راكبا في كرشله ومعه
جماعة من النساء صغارا وكبارا لهم حسن
وجمال فوقف وسلم سلاما كثيرا واظهر هو
ومن معه من النساء بشر وترحيبا فقابلناه
بما يجب وحين اراد الانصراف عرف بنفسه
بان قال نحن من جنس المسلمين من نسل
اولاد السراج، فسالت عنه بعد ذلك فقيل
لي انه من كتاب الديوان وهو الذي يقرا
ما يحصل بالديوان من رقاع وعرض حال
وشبهه وكذلك ايضا كانت جماعة
من اهل غرناطة لهم بغرناطة ولايات و
احكام وسكناهم بمدينة مادريد تترد
علينا صحبة دون الونص الذي هو من
عقب ملك غرناطة وينتسبون الى الجنس
الذي كان بغرناطة وغلب عليهم الشقاء
والعياذ بالله ولقد كانوا يسئلون عن
دين الاسلام وعن اشياء منه بحين يسمعون

ما نجيبهم به عنه من الديانات واحكام
الطهارة التي بنى الاسلام عليها وغير
ذلك يعجبهم ما يسمعون منه وينصتون اليه
ويشكرونه بمحضر النصارى ولا يعبؤون
بمن حضر ولا يزالون مدة مقامنا بمدينة
مادريد يكثرون التردد لدينا ويردون
علينا المرة بعد المرة ويظهرون من
المحبة والتحنن شيئا كثيرا نسأل الله
تعالى ان يهديهم الى الصراط المستقيم
ويرشدهم الى الدين القويم ومن مدينة
اندوخر خرجنا الى مدينة تسمى ليناريس
اربعة وعشرون ميلا وعلى مسيرة ثلاثة
اميال او اربعة من مدينة اندوخر يفارق
المار الوادي الكبير ويتركه يمنة عند
ما ينحدر من الجبال ومدينة ليناريس
هي مدينة متوسطة اثرها اثر
الحضارة قديما وبها من بقايا الاندلس
الذين من سكانها وبخارجها معادن
كثيرة

كثيرة من الرصاص الذي ينقل الى كثير من
اصبانية ولمّا ان وصلنا هذه المدينة ورد
علينا اهلها للسلام على العادة وورد علينا
جماعة من الفرايلية مسلمين علينا
وطلبوا منا على لسان الراهبات ان نطلع
وننظرهم فوعدناهم من الغد ولما ان اردنا
الخروج من المدينة ضحوة صرفنا الكنيسة
الذي هنّ به فدخلنا عليهنّ فوجدناهنّ
في دار مجاورة لكنيسة بينها وبين الكنيسة
الكنيسة شباك من نحاس فينظرن منه
الكنيسة ويسمعن الميسة وهن في غاية
ما يكون من التحفظ والصون منهن
الصغيرة من سبعة اعوام الى العجايز
والمتجالات وهن ابكار وعادتهن في ذلك
ان جميع من احبت الترهب والترهبن
تدخل الكنيسة المعد لذلك سواء كانت
صغيرة او كبيرة بعد ان تحلف وتشهد
على نفسها انها لم تؤثر الدخول لذلك

الموضع الا بعد ان لم يبق لها في الدنيا ارب
ولا غرض ولا تتعلق لها شهوة في رجل ولا في
في نظر ولا في دخول ولا في خروج فتدخل
الكنبنط وتلبس من اللباس ما خشن فان
كان لها مال يجري عليها منه بالقسط
وما ليس لها مال منهن تخدم غيرها وتعيش
معها او تاكل من الحبس الموقوف عليهن
وهذا الكنبنط المعد للراهبات ويسمونهن
بالعجمية المنكام لا يدخله احد من
الرجال اصلا وعليهن عجايز موكلات بهن
فاذا حصل باحداهن مرض تتوقف فيه
على الطبيب يدعى لها الطبيب ويدخل
عليها بعد ان يحضر به اربع عجايز واحدة
عن يمينه والاخرى عن يساره والثالثة
من خلفه والرابعة امامه فيدرن به
حين دخوله باب الكنبنط ولا يفارقنه
حتى يخرج ودخول المراة للكنبنط هو
بمثابة موتها اذ لم يبق لها ارب في شي
من الاشيا

من الانثيا الامن دخلت منهن صغيرة السن
فبل البلوغ تبفى به الى ان يستانس منها
البلوغ فتستشار حينيذ وتخير في امرها
ويلفى اليها امر نفسها فاذا آثرت ذلك
الموضع واحبته وفالت لا ارب لي في
الخروج ولا في التزويج بعد ان تخلى بينها
وبين نفسها يشهد عليها بفبول ذلك
ويوخذ عليها العهود والمواثيق على
مفامها هنالك لغرضها وانها لم يبق
لها تعلق ولا تتشوق الى شي من امور
الدنيا وان هي احبت الخروج والتزويج لا
تمنع منه وتجاب اليه فمنهن من توثر
المفام هنالك لاجل الالفة ومنهن من
توثر المفام بما يغلب على ظنهن انهن
على طريق فويمة ومنهن من تخاف السب
والعار بخروجها بعد حسبت من الراهبات
والغالب على دخولهن الى الكنيسة هو عدم
وجدان الصداق الذى تعطيه المراة على

زواجها للرجل وفي عوايدهم ان المراة تدفع
المهر من عندها وصاروا يتغالون في ذلك
حتى ال الى عدد كثير لا يقدر عليه الا من له
وفر ومال او ميراثة كثير فصرن يدخلن
هذا الموضع المعد لذلك حين لا تجدن
ما تستعنّ به في المال ومنهن من تكون من
الاعيان الاكابر ذوي المال الكثير فتزعم
انها زهدت ورفضت الدنيا والرياسة
وحب الكبيرة وتدع كبيرتها ورياستها
لغيرها من اخواتها او اهاليها وتدخل
الكنبط والغالب عليهن انهن ابكار
ومنهن من يحب ابوها او امها صونها
من الافات الدنيوية وعار الاحدوثة
النفسانية فيودعها هنالك بقصد
الحفظ والصون الى ان يبلغ وقت تزويجها
ويخرجها كما رايت في كنبط للمونكاص
الراهبات من مدينة انشبيلية صبية في
غاية الحسن والجمال واعتدال القامة
وصباحة

وصباحة الوجه لها اربعة عشر عاما
اوما يقرب منها ولباسها غير لباس الراهبات
فسالت عنها وسبب مخالفة لباسها لجميع
الراهبات فقيل انها مودعة هنا لاجل قصد
الصون والتحفظ الى ان تتزوج اودعها ابوها
قبل ان تستكمل لبنها وهي ابنة عشرين
شهرا ولهولاء الراهبات مذاهب وطرق
بعدد مذاهب القرابلية وطرقهم ومنهم
جنس يسمى الاصكالصوم مذهبهم في الترهب
ان لا يكتسبوا ولا يخزنوا فلسا ولا دينارا
ومعيشتهم من الصدقات التي يزعم النصارى
انها صدقة وكذلك في النساء القرابليات
جنس لهن في التزهد طريقة ضيقة متعبة
وهي ساعة تريد المراة الدخول للكنيسة
المعروف لهذا الجنس يوخذ عليها العهود
والمواثيق والايمان انها لم يبق لها غرض
في الدنيا ولا في شي من امورها وان لا تفتح
عينها في احد ممن هو ليس من اهل الكنيسة

حتى اذا احب ابوها او امها رويتها تجعل على
وجهها برقعا يمنعها من النظر فيهما وهما
في غاية المهنة والتقشف بخلاف غيرهن
من اهل المذاهب الاخر وحتى الشبابك الموضوعة
لهن بينهن وبين الكنيسة لسماع الكبر
جعلت شبابك ضيقة جدا في موضع مظلم
وبخارج الشباك مما يلي الكنيسة كلاليب
وخطاطيف ومسامير كثيرة تمنع من القرب
الى الشباك مع ضيق عيونه ليلا يقرب احد
الى الشباك وقد جعل هذا الشباك صغيرا
في موضع مظلم بحيث لا يرين منه ولا يرين
ولقد طلبوا اهل هذا الجنس في مدينة
كرمونة رويتنا ورغب الحاكم منا فدوعنا
اليهن فوجدناهن على هذه الحالة وهن
في غاية التقشف والتضيق فحين جرى
الكلام بيننا وبينهم واردنا الانصراف
قالت واحدة منهن ما معناه سلكنا
الله واياكم مسلك النجاة والسما عرفنا اين

يسا ربنا

يسار بنا فقلت لها الى الجهنم وبيس المصير و
هذا الجنس في غاية التقشف والترهب واما الغير
فعليهن ضيق السجن وعدم الخروج والتزويج
والتمتع في الملابس وغير ذلك من احوال الدنيا
ولا فيبينهن وبين الجنس المضيق عليهن بون
بعيد وهن على مذاهب البرابلية من تجرد جعل
في يده تلك الخطة سببا وتحيلا على الدنيا وجمعها
فان كانت له يد عند المخزن يقبضهن ويقبر
الحبس الالاف زاعما انها لمعاشه ومنهم من
جعل في يده تلك الخطة سببا للاستراحة من
تعب الدنيا ومشقتها وتكفيه الراحة
ومنهم من جعلها في يده درقة يتستر بها
لتقيه وتمنعه من كلام الناس فلا يقدر
احد ان يتكلم في احد من البرابلية بعيب
او يلمزه بقبيح ولو شاهده وحققه وهم
الضالون المضلون المنكبون عن طريق
الحق فلقد ضلوا واضلوا اخلى الله منهم
الارض وعمرها بدوام ذكره وقد جربنا

الحال الى ذكر هذا . ولنرجع الى ذكر مدينة
لينارس التى راينا بها القرابلية الراهبات
وهى كما قدّمنا مدينة متوسطة اثرها
اثر الحضرة واهلها اهل بشاشة ومن
بشاشتهم وعوايد اكرامهم ان اجتمعوا كلهم
نساء ورجالا واتوا بالة الطرب وعادتهم
ان يرقص رجل وامراة فحين يفوغ الرجل
يريد الرقص يتخير من يختاره من النساء
صغيرة او كبيرة ويزيل لها الشمرير الذى على
راسه ويبايع لها فلا يمكنها التخلف
اصلا وجل اهل هذه البلاد اناس ذو ملاحة
وحراثة ولم تكن دار تجارة ولاسبب لانها
غير معدودة من الحواضر ومن مدينة
لينارس هذه الى دشرة تسمى طرى كوان ايلان
وهى دشرة كبيرة واهلها الى البداوة اميل
وبداوتهم هى شبيهة ببداوة بربرنا اهل
الجبال الفحصية وما جاورها ولقد خرجوا
لملاقاتنا يوم ورودنا عليهم وبيد جماعة

من نسايهم

من نسايهم المزامير والدفوف على عادة بربر
بلادنا وغناوهم مخالف لغنا اهل الحواضر من
النصارى ودخلنا هذه الدشرة المذكورة
يوم رحلينا من ليناريس وهو يوم انفصالنا
عن البلاد المسماة بالاندلسية ودخلنا
مانشا التي قدمنا ذكرها وهي بلاد خشنة
ذات جبال واحجار ومسالك وعرة وغير
ملتفة واشجار وانهار يابسة لان هذه البلاد
المسماة بمانشا هي بلاد يابسة جدا
ومنابتها الشيح وهي يابسة باعتبار
الاندلسية وان كانت كلها قليلة المياه
وترابها احمر ومداينها مبترية بخلاف
الاندلسية ومن دشرة طري كواباس ومعنى
الطري البرج وصلنا الى دار معدة للنزول
قرب مدينة تسمى شكلافة اذ كانت
في سفح جبل منكبه عن الطريق وهذه
هي عوايدهم في جميع هذه البلاد الاندلسية
وغيرها من ساير بلاد العدوة فعند كل

مسافتين او ثلاث مسايف يجعلون فندقا او
دارا معدة لنزول الضيوف والمسافرين
فاذا وصل المسافر الى موضع منها ينزل به
ويجد هنالك من الطعام ما يشتهيه وما تبلغ
اليه مقدرته كل على قدر سعته ويجد العلف
لدوابه والفراش لنفسه فياكل ويستريح
ويطعم دوابه ان كان نهارا وان كان ليلا فلا
يحتاج الا الى الكلام والاستحكام فيما يحبه
ويشتهيه فاذا اراد الخروج من الفندق
او الدار المعدة لذلك ياتيه زوجة الموكل
بالموضع او ابنته بزمام فيه يدها وقد حسبت
ما صيرته عليه من ثمن الطعام والعلف
وكرا المسكن والفراش فلا يمكنه الا اعطاء
جميع ما تحسبه عليه من غير منا قشة
وصاحب الفندق او الدار قد تحمل ذلك
بجعل معلوم للطاغية فلا تجد احد من
المسافرين في هذه البلاد يسافر سفرا
قريبا كان او بعيد يبيت في فلاة من الارض

او يقيل

او يقيل حيث ما ادركه المقيل وانما سفرهم
في وقت معلوم بحد معروف من كونه اذا ارتحل
لمن الموضع معلوم ولا يحمل المسافر مدة
سفره زادا ولا شيا من الماكولات ولا يحتاج
الا الى اصحابه المال للنفقة وملازمهم في
النفقة كثيرة لغلا الاسعار دايما فتجد
الرجل في بلاد اصبانيه الذى يريد المعيشة
من غير ترفه اكل ولا شرب ويقتصر في
معاشه من غير ترفه ولا سرف فلا يكفيه
مع اقتصاده ريال واحد واما من احب التانق
في الماكل والمشرب فنفقته كثيرة وملازمه
كثيرة ومع هذه العمارة وكثرة المداشر
والقرى والمدن التى في اصبانية لا يقدر احد
ان يسافر وحده في مدة مسافة جبل سير
مرينة وجميع بلاد مانشا لما فيهما من الخوف
وكثرة اللصوص فلقد كان النصارى الموكلون
بنا في طريقنا حيث وصلنا هذه البلاد
يستعدون ويتاهبون ولا يحبون احدا من

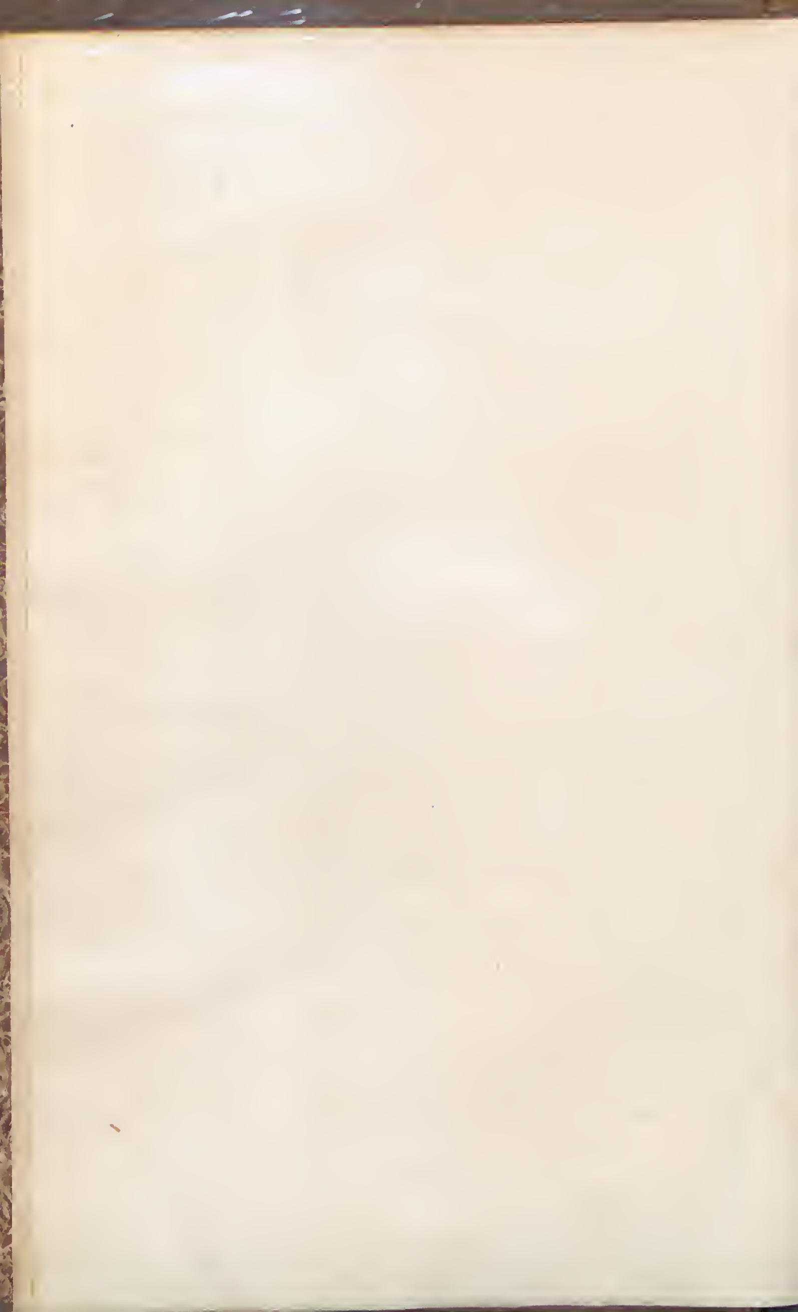
اصحابنا ورفقاينا يتقدم ولا يتاخر مخافة من
الافات واذا لقينا ثلاثة اناس او اربعة نسئلهم عن
المرور وهم بعرفة قليلة فيقولون من مثل هولاء
يخاف لانهم اذا وجدوا غرة في هذه البلاد المخوفة
يفعلون ما يفعله اللصوص ولا يعرف لهم عين ولا
اثر واما المتلصصون فلم يكن منهم هنا الا احد
يذكر الا نادرا، ولقد علي حين اياتي من مدينة
مادريد بقرية طري كوان اتان رجل من قرية
تسمى فوصرا بينها وبين الطري المذكور اميال
فرحب وسلم وذكران له مع دون الونو حبيب
ملك غرناطة محبة كثيرة وصحبة اكيدة وزعم
انه كتب له من مادريد كتابا يلزمه فيه
بمرافقتنا في هذا الموضع المخوف ويحضه على
ملازمتنا مدة مسيرنا في هذه البلاد التي يتوقعون
فيها شيئا من ذلك وكان هذا الرجل المذكور
ممن يعد من اللصوص في هذا الجبل وله قوة
وشجاعة ذكر انه لما ان كان يتلصص بعث له
يوما طاغية اصبانية سرية من ثلاثمائة راجل

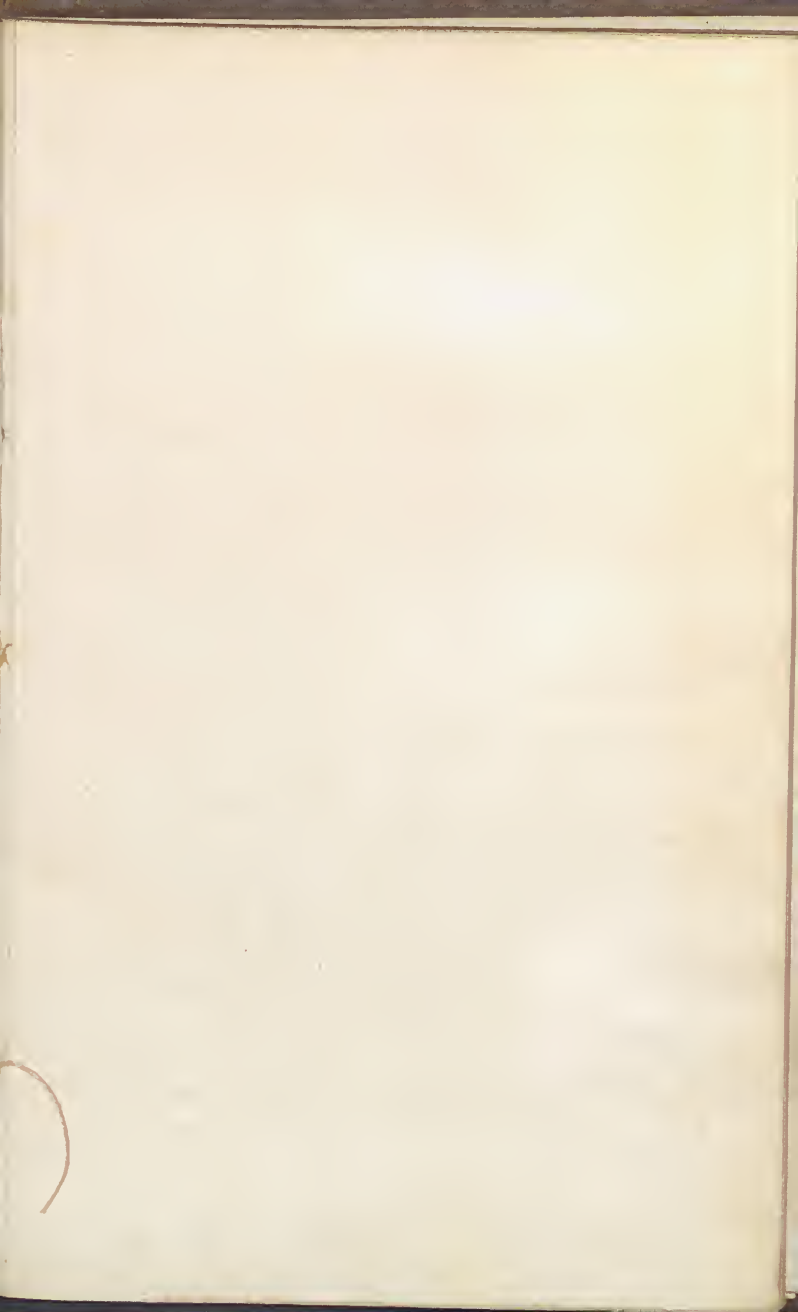
يقبضون

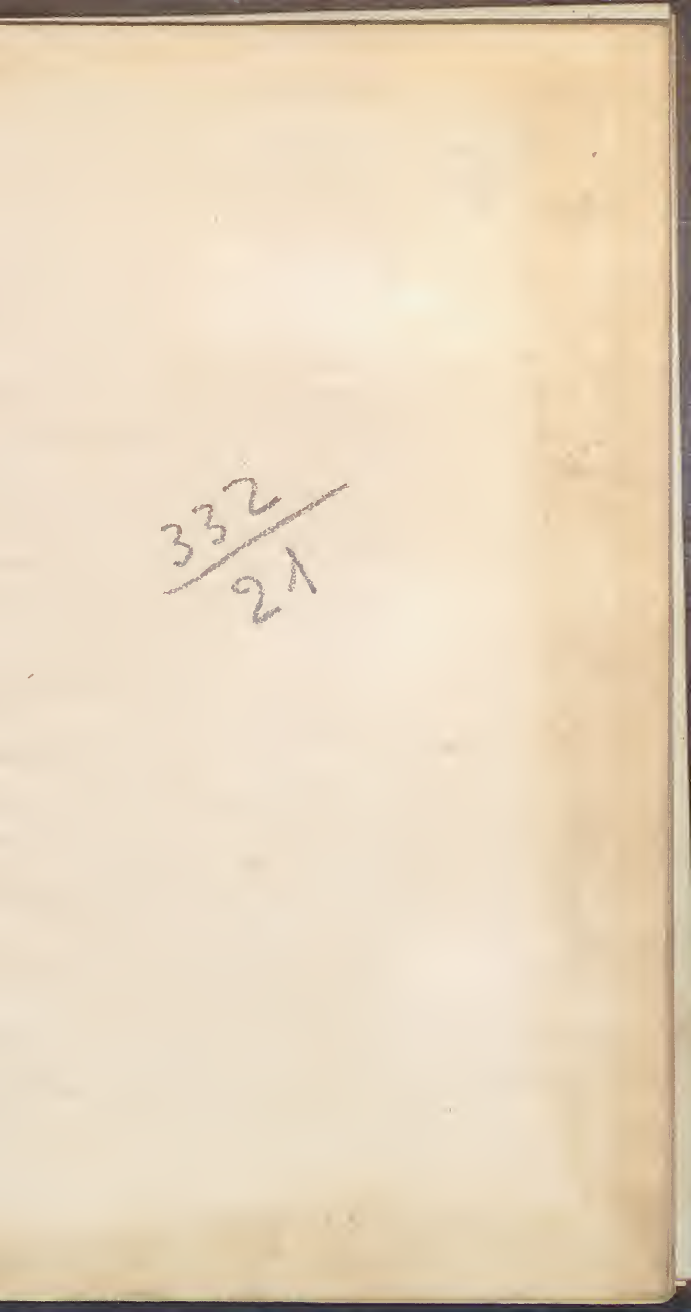
يقبضون عليه فاختفى لهم في ناحية من
هذه الجبال فلم يقدروا عليه الى ان رجعوا
فاب الى داره بفوصرا وهو الان بداره غير
خايف على نفسه ولا على مال غير انه يريد امنا
من الطاغية يامن به في نفسه ويجعله في
بده وفارا وامانا واما هو في خاصة نفسه
ليس عليه خوف من شي ولقد راينا عزايبه
وخيله راتعة في فدادين من الارض قرب
المدينة ترتع وتسرح ولقد اظهر البوم
رجوعا عن ذلك وقال لي لو كنت متاهبا
للسفر لقدمت معك الى مولاي اسماعيل
اطلب منه كتابا احترم به الى سلطان
اصبانيه ليكتب لي امانا تطمئن به نفسي
وان قدم من هذه البلاد احد فاني اصاحبه
واقدم معه ولما احب مرافقتنا التي اتى
بسببها قلنا له لا نحتاج معك الى مرافقة
ورجوعك الى دارك من هنا اوفق وعزمنا
على رده فابى الا المرافقة والمصاحبة فتركناه










332
21

